مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

كيف واستعمالاتها في الحديث النّبويّ الشّريف
– دراسة نحويّة دلاليّة لعيّنة من صحيحيّ البخاري ومسلم–

Noune of the questi on " Kaifa " and its uses in the Hadith of the Prophet - A grammatical study of a sample of Saheeh al-Bukhari and Muslim-

الطالب. موسى حمودي
mousahmo@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة
أ. د عبد الوهّاب شيباني
chibaniweb@hotmail.com
جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة1

تاريخ الإرسال: 27_02_2019 **تاريخ القبول:** 28_05_2020

الملخـــص:

يتطرق هذا البحث إلى أسلوب من أساليب اللغة العربية وهو أسلوب الاستفهام، باختيار جزئية محددة من جزئياته تتمثل في الاستعمالات النحوية والبلاغية لأحد أسمائه وهو (كيف)، ومحاولة مقاربته مقاربة دلالية، بالاعتماد على مجموعة من العينات والتطبيق عليها من أحاديث النبي – ﷺ –، للوصول إلى تنوع الخصائص الدلالية لهذه الأداة بالاعتماد على القرائن مع ما يقتضيها السّياق.

الكلمات المفتاحيه: كيف– الحديث الشريف–الاستفهام–أسلوب– الدلالة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

ABSTRACT:

This research deals with a method of Arabic language, which is the method of questioning, by selecting a specific part of its particles, namely, the grammatical and rhetorical uses of one of its names (kaifa), and to approach it through the application of a set of samples from the hadiths of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) To access the diversity of semantic characteristics of this name based on contextual evidence.

Keywords: Kaifa -Hadith– Question- Style–Meanings.

المقدمـــة:

يتسم الحديث النبوي الشريف بخصائص أسلوبية متنوعة، وباعتباره أحد الوحيين فهو يعد من المناهل العذبة التي تستقى منه اللغة، فنجده يشمل على ظواهر تركيبية متنوعة، وقد اجتهد الباحثون قديما وحديثا في استثماره، وقد تم البت فيه في قرارات المجلس الأعلى للغة العربية في اعتماده مصدرا للغة العربية[1]، ثم إنه وضع لذلك شروطا يحدد فيها كيفية استخدام هذا المصدر واستثماره لغويا.

ولعل من أهم هذه التراكيب التي حفل بها الحديث الشريف تلك التي تحمل في طياتها ألفاظا تدل على أسلوب معين، لذا نجد أن بعض التراكيب لا تفهم إلا من بعض الألفاظ المفتاحية التي توحي بدورها إلى أسلوب لغوي خاص، كحروف النداء أو القسم أو التمني أو الاستفهام وغيرها، فلا تُعرف هذه الأساليب إلا بهذه الألفاظ، ثم إن السياق

[1] – محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1380هـ– 1060م، ص 181–182.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

وحده الذي يحدد الغرض من إيرادها، مع تكييف الوقائع والمقامات التي يصدر فيها الفعل الكلامي.

لذا سنحاول إماطة اللثام عن أسلوب الاستفهام باختيار أحد أدواته وهي (كيف) دون غيرها لكثرة استعمالها في الحديث الشريف وتنوع دلالاتها؛ ساعين بذلك إلى كشف عن وجوه استعمالاتها النحوية والبلاغية؛ فما هي الدلالات النحوية التي تنصرف إليها في الحديث الشريف وما هو الموقع الإعرابي الذي تتخذه ضمن عناصر التركيب ؟ وما هي أهم الأغراض البلاغية التي تساق لها في الحديث الشريف؟ وهل تستعمل لطلبٍ فقط أم تتعداه إلى أغراض أخرى؟

وللإجابة عن هذا الإشكال سنستعين بطائفة من الأحاديث الصحيحة من صحيحي البخاري ومسلم، متبعين بذلك المنهج الوصفي التحليلي، ولا نَدَّعِ أننا قد استوعبنا جميع هذه المعاني فربما خفي الكثير منها، وهذه مهمة البحث والتنقيب.

أولا: تعريف الحديث الشريف

أ/ لغة: يأتي الحديث في اللغة بمعنى نقيض القديم، كما يأخذ معنى الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس والحدوث كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فحدث، وحدث أمر أي وقع[1].

ب/ اصطلاحا: والحديث في الاصطلاح يعرفه ابن تيمية –رحمه الله– «هو عند الإطلاق ينصرف على ما حدث به عنه –صلى الله عليه وسلم–من قوله، وفعله، وإقراره، فإن سنته تثبت من هذه الوجوه الثلاثة»[1].

[1] – إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990م، مادة: حدث ج1، ص278.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

ثانيا: معاني "كيف" النحوية:

للاستفهام أدوات متعددة تنقسم إلى حروف وأسماء وظروف، فالحروف الهمزة وهل وأم، وما عدا هذه الثلاثة فأسماء وظروف، فالأصل في الاستفهام هو الهمزة وهذه الأدوات فروع عليها إذ يحق لها الحذف دون غيرها، فالعرب أقامت هذه الأسماء والظروف مكان الهمز توسعا في الكلام، حيث إنَّ لكل واحد منها موضع يختص به دون غيره من الأدوات[2]، ومن هذه الأدوات "كيف" لنرى معاني كيف النحوية:

1–"كيف" بين الاسمية والظرفية:

اختلف النحاة في أصل "كيف" هل هو اسم أم ظرف، وانتفى أن يكون فعلا أو حرفا، وقد ذهب ابن هشام بالحكم على إسميته مستدلا بما يأتي[3]:

- دخول الجار عليها بلا تأويل في قولهم: عَلَى كَيْفَ تَبِيعُ الأَحْمَرَيْنِ.
- إبدال الاسم الصريح منه نحو: كَيْفَ أَنْتَ أَصَحِيحٌ أَمْ سَقِيمٌ، بالرفع، وإما أن يكون بالنصب: كيف سرت أَرَاكِبًا أَمْ مَاشِيًا.
- مباشرة الفعل لها نحو: كَيْفَ كُنْتَ؟ وذلك لدخولها على الأفعال واتصالها بها، بحيث انتفى دخول الفعل على الفعل مطلقا لأنه لا يفيد الكلام منه معنى مقصوداً.

[1]– محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق مصطفى الشيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ–2004م، ص86.

[2]– ينظر: أبو البركات كمال الدين الأنباري، أسرار العربية، تحقيق بهجت البيطار، دط، المجمع العلمي العربي، دمشق، دت، ص385–386.

[3]– ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، سلسلة التراث، الكويت، 1421هـ–2000م، ج3، ص133.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

إلا إن سيبويه (ت180هـ) يذهب إلى أنها ظرف وذلك لثلاثة أسباب وهي[1]: أن موضع "كيف" عنده في حال نصب دائما، وأن تقديرها لا يكون إلا بمعنى (في أي حال) أو (على أي حال)، وكذلك لا يكون الجواب المطابق أن يقال: على خير ونحو ذلك، ولهذا قال رؤبة –وقد قيل له: كيف أصبحت؟– فأجاب: خير عافاك الله؛ أي على خير؛ ويؤيد كلام سيبويه الكثير من الأحاديث والآثار التي دلت بدورها على أن "كيف" تكون ظرفية وفق المعايير التي استند إليها سيبويه للحكم على ظرفيتها، نذكر على سبيل التمثيل ما روي من حديث عائشة أم المؤمنين –رضي الله تعالى عنها– أن الحارث بن هشام –رضي الله تعالى عنه – سأل رسول –ﷺ– فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟»[2]، فقد استفهم عن الحال التي كان يأتيه فيها الوحي، فهي مبنية على النصب في محل رفع مبتدأ، وجملة يأتيك الوحي في محل رفع خبر، فلو عدنا إلى الحديث وجدنا النبي –ﷺ– يبين الكيفيات والأحوال التي كان الوحي يأتيه عليها.

وخلاصة الحكم على ترددها بين الاسمية والظرفية قول ابن مالك (ت 672هـ) وهو ينفي أن تكون ظرفا إلا إذا أطلق عليها مجازا «لم يقل أحد إن (كيف) ظرف إذ ليست زمانا ولا مكانا لكنها لما كانت تُفسر بقولك: على أي حال لكونها سؤالا عن الأحوال العامة سميت ظرفا، لأنها في تأويل الجار والمجرور، واسم (الظرف) يطلق عليهما مجازا»[3] فدل ذلك على اسميتها، دون النظر إلى دلالتها المعنوية، وإن كانت تحمل معنى

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص138–139.

[2]– عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دط، درا البشرى للطباعة والنشر، باكستان، 1437هـ– 2016م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله –ﷺ–، حديث رقم 2، ص07.

[3]– ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مرجع سابق، ج3، ص 140.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

الظرفية إذا حملت على التأويل الذي يفيد الجار والمجرور، ويستفاد من كلام ابن مالك أن إطلاق اسم الظرف على (كيف) إنما هو من باب التجوز .

2- "كيف" تكون شرطا[1]:

وتقتضي فعلين متفقين في اللّفظ والمعنى غير مجزومين نحو: كَيْفَ تَصْنَعُ أَصْنَعُ، ولا يجوز كقولنا: كَيْفَ تَجْلسُ أَذْهَبُ وهذا باتفاق النحاة، ولا يقال أيضا: كَيْفَ تَجْلسْ أَجْلِسْ بالجزم، فيجب أن يكون الفعلان متّفقي الحركة، ويكون ذلك بالرفع لا بالجزم، كما يجب أن يكون الجواب موافقا للشرط، ويذهب سيبويه إلى أنه يجازى بها معنى لا عملا ويجب أن يكون فعلاها متفقين لفظا ووزنا ومعنا[2].

وقد تكون شرطا في حال اقترانها بـــ"ما"؛ ومن ورودها شرطا قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[3]، يقول أبو حيان (ت745هـــ): «هي في معنى الشرط كما تقول: كيف تَكُونُ أَكُونُ، ومفعول "يَشَاءُ" محذوف، وجواب "كيف" محذوف يدل عليه "يُنْفِقُ" المتقدم ... والتقدير: يُنْفِقُ كيف يَشَاءُ أن يُنْفِقْ يُنْفِقْ، كما تقول: كَيْفَ تَشَاءُ أنْ أضْرِبْكَ أَضْرِبْكَ، ولا يجوز أن يعمل في كيف (ينفق)، لأن اسم الشرط لا يعمل فيه ما قبله، إلا إذا كان جارا فقد يعمل في بعض أسماء الشرط»[4].

– حذف فاء كيف:

[1]– المرجع نفسه، ج3، ص133–134.

[2]– عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـــ–1988م، ج1، .ص 134، ص433.

[3]– سورة المائدة: الآية 64.

[4]– أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـــ–1993م، ج3، ص535.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

وتحذف فاء "كيف" فتصير (كَيْ) وهو لغة فيها كما يقال في "سوف" سو، و"كي" اسم استفهام بمعنى "كيف"، لأن الفعل بعدها مرفوع، فأفادت الاستفهام[1]، وقد استدل النحاة بقول الشاعر[2]:

كَيْ تَجْنَحُونَ إِلَى سِلْمٍ وَمَا ثُئِرَتْ === لِقَتْلَاكُمُ وَلَظَى الْهَيْجَاءِ تَضْطَرِمُ

وعليه فإن من المعاني التي تفيدها (كيف) في التركيب أن تأتي بمعنى الشرط، ولا يتحقق معنى الشرط إلا إذا توفرت شروطه، وهو أن يكون فعل الشرط وجوابه متفقين لفظا ووزنا ومعنا.

ثانيا: تردد كيف في الحديث الشريف:

وإذا عدنا إلى ما بين أيدينا من الأحاديث والآثار نجد أن (كيف) تتردد في كلامه –ﷺ– كثيرا، فتأتي قبل الفعل أو الاسم، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

أ/ مجيئها قبل الفعل:

– الفعل الماضي: يرد الفعل الماضي بعد كيف الاستفهامية في الحديث الشريف، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ– قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ومَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ

[1]– ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مرجع سابق، ج1، ص318. وينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ–1992م، ص265.

[2]– البيت من بحر البسيط، وهو مجهول القائل، والشاهد منه مجيء كي مختصرة من "كيف" لكون الصيغة في البيت صيغة سؤال، والمعنى: كيف تجنحون فحذفت الفاء وهو لغة فيها. ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المرجع نفسه، ج1، ص284، وينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، المرجع نفسه، ص26.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهمْ وَهُوَ أَعلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[1]، فقد جاء تركيب أسلوب الاستفهام في هذه المحاورة بـــ(كيف) زائد الفعل الماضي (ترك) ليتخذ اسم الاستفهام معناه الذي وضع له أصالة للسؤال عن الحال، وهو سؤال من ربِّ العزة عن حال عباده المؤمنين، وعليه تتحقق إجابة الملائكة عن حالهم، وهي حال العبادة، قال النووي (ت676هـــ): «فهذا السؤال على ظاهره وهو تعبدٌ منه لملائكته كما أمرهم بكتب الأعمال وهو أعلم بالجميع»[2].

– الفعل المضارع: عن جابر –رضي الله عنه– قال غزوت مع النبي –ﷺ– قال: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ أَتَبِعْنِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ»[3]، فجاءت كيف قبل الفعل المضارع ترى.

ب/ مجيئها قبل الاسم:

– الاسم الظاهر: عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ... فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ فَقَالَ: صَالِحٌ»[4]، فنجد أن (كيف) أتت سؤالا عن اسم ظاهر.

---

[1]– مسلم بن الحجاج القُشَيْري النيسابوري، صحيح مسلم، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010م، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم 632، ص143.

[2]– محي الدين بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1347هـــ–1929م، ج5، ص133.

[3]– صحيح مسلم، المصدر نفسه، كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم 715، ص381. وقد وردت قصة جمل جابر بروايات مختلفة، ينظر: رواية البخاري، كتاب البيع، باب شراء الإبل الهِيَم أو الجرب، رقم 2096، ص1018–1019.

[4]– صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الجنائز، باب في عيادة المريض، رقم 925، ص205.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

– الضمير المنفصل: أن أبا هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»[1]، فنلاحظ مجيء ضمير الرفع المخاطب بعد اسم الاستفهام "كيف".

– الجار والمجرور: ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: «يَا عَبْدُ اللهِ بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ[2] مِنَ النَّاسِ بِهَذَا؟»[3]، فقد باشرت (كيف) الجار والمجرور ويتمثل في باء الجر زائد كاف الخطاب.

ج/ مجيئها قبل حرف التحقيق:

وذلك من حديث عقبة بن الحارث: «أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لأَبِي إِهَابِ بْنَ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: بِمَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي؟ فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ –ﷺ– بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟ فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ»[4].

د/ مجيئها قبل المصدر:

---

[1]– صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، رقم 3449، ص 1589.

[2]– والحثالة بالضم ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشارة إذا نقي، فكأنه الرديء من كل شيء. ينظر:محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، دط، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دت، مادة (حثل)، ص 91 . وقد وردت حفالة وحثالة، والحثالة سقط الناس وأسوؤهم، ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، دط، المكتبة السلفية، دت، ج11، ص252.

[3]– صحيح البخاري، المصدر نفسه، رواه البخاري، كتب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس، رقم 7086، ص3132.

[4]– المصدر نفسه، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة، رقم 88، ص180.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

من حديث الأعرابي الذي سأل عن الساعة قال رسول الله –ﷺ–: « أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[1]، فقد باشرت كيف مصدر الفعل أضاع.

ه/ اتصالها بهاء السَّكْت:

وقد يتصل اسم الاستفهام (كيف) بهاء السكت في نحو قوله–ﷺ– من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–«... فقال: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ: قَالَ: أَلَا تَقُولُونَ: كَيْفَهُ؟ قَالُوا: كَيْفَهُ يَا رَسُولَ اللهِ»[2]، فالهاء في هذا الموضع للسَّكت تلحق الكلمة في الوقف، « أما قول الصحابة (كيفه يا رسول الله) فقد ألحقوها مع الوصل إجراء له مجرى الوقوف، أو قصد إتباع لفظ النبي–ﷺ– الذي حثهم عليه، فلو قالوا: كيف؟ لما كانوا سائلين عن اللفظ الذي حثهم عليه»[3]، فنلاحظ أن (كيف) تتصل بهاء السَّكت كغيرها من الأسماء.

وخلاصة الكلام فإن (كيف) ترد في الحديث الشريف، فتأتي مع الفعل، وتأتي مع الاسم الظاهر أو مع الضمائر، كالضمير المنفصل (أنت)، وقد يأتي بعدها الجار والمجرور نحو قوله: (كَيْفَ بِكَ)، ومن والصور التي ترد عليها، أن يأتي بعدها بعض الحروف مثل (قد) وهاء السّكت، ما يجعلها تضفي دلالات متنوعة على التركيب.

---

[1]– المصدر نفسه، من حديث أبي هريرة، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم 6496، ص2870.

[2]– صحيح مسلم، المصدر نفسه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم 194، ص60.

[3]– موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1426ه–2002م، ج 2، ص 22.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

ثالثا: "كيف" وإعرابها في الحديث النبوي:

مما سبق عرضه تبين أن اسم الاستفهام قد يباشر الأفعال كما يباشر الأسماء، إلا أنه يباشر الأفعال أكثر من الأسماء، بل ويذهب سيبويه إلى أنه لا يليها إلا الأفعال، ويرجع علّة إقامة الأسماء بعدها من باب التوسع في الكلام فيقول: «وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل إلا أنهم قد توسعوا فيها فابتدءوا بعدها الأسماء والأصل غير ذلك ... وأما الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز»[1]، فعلة إقامة هذه الأسماء والظروف والحروف إنما هو من باب التوسع والاقتصاد اللغوي، وهذا ما يؤكده الأنباري (ت577هـ) مرة أخرى: «فإن قيل لم أقامت العرب هذه الأسماء والظروف مقام حروف الاستفهام، قيل: إنما أقاموها مقام حروف الاستفهام توسعا في الكلام، ولكل واحد موضع يختص به»[2]؛ ويستثنى من هذه الحروف الهمزة لأصالتها في الاستفهام لأنها أم باب الطائفة[3]، ومن هذا المنطلق فإن تطفلها على عناصر التركيب يكسبها وظائف مختلفة في التركيب حيث تؤدي معاني نحوية مختلفة، فتتغير دلالة إعرابها من موضع إلى آخر بحسب موقعها الذي ترد فيه وبحسب طبيعة اللفظة التي تأتي بعدها

[1]– سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ج1، ص98–99.

[2]– أبو البركات كمال الدين الأنباري، أسرار العربية، مرجع سابق، ص386.

[3]– فالهمزة هي أصل أدوات الاستفهام وغيرها من الأدوات تابعة لها لذا خصت بأحكام جعلت منها أم باب الطائفة، يقول ابن هشام: «والألف أصل أدوات الاستفهام ولهذا خصت بأحكام»، ومن الأحكام التي خصت بها: أنها تحذف وغيرها لا يحذف، سواء دلت عليها قرينة لفظية أو معنوية، وتختص بطلب التصور والتصديق خلافا لبقية الأدوات التي لا ترد إلا لطلب التصور، كما أنها تدخل على الإثبات والنفي، ومن الأحكام التي تختص بها الهمزة تمام التصدير. ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مرجع سابق، ج 1، ص 74– ص 82.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

مباشرة لتحدد لها الموقع الإعرابي، وكذلك (كيف) ففي إعرابها اختلافات كثيرة بين النحاة، فسيبويه يعربها دائما منصوبة على الظرفية، ويراها ابن هشام صالحة لأن تكون مفعولا مطلقا فيقرر ذلك بقوله: «وعندي أنها تأتي في هذا النوع مفعولا مطلقا أيضا وأن منه ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[1] إذ المعنى: أَيَّ فعلٍ فَعَلَ رَبُّكَ»[2]، ويراها غيرهما صالحة لأن تكون حرف عطف، وعليه فإن اسم الاستفهام (كيف) يعرب بحسب موقعه في الجملة كالآتي:

1/ **في محل رفع خبر**: وهذا إذا جاء بعدها اسم مفرد كما في حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال رسول الله –ﷺ–: «يَا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ فقال: صَالِحٌ»[3]، وعليه فتعرب كيف اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم، ويكون ما بعدها مبتدأ مؤخرا، فالتركيب= كيف+اسم.

– كذلك تعرب خبرا مقدما إذا وليها ضمير الرفع المنفصل نحو قوله –ﷺ–: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»[4]، فيكون تقدير الكلام أنتم على أي حال إذا نزل ابن مريم؟ فيكون "أنتم" ضمير رفع منفصل، مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر؛ فالتركيب= كيف+ضمير منفصل.

وقد يتصل اسم الاستفهام بالهاء التي تعوض ضمير الغائب في نحو قوله –ﷺ– من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–«... فقال: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا رَأَى

[1] – سورة الفيل: الآية 1.
[2] – ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، المرجع نفسه، ج 3، ص 136.
[3] – سبق تخريجه، ص 6 .
[4] – سبق تخريجه، ص 6.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ: قَالَ: أَلَا تَقُولُونَ: كَيْفَهُ؟ قَالُوا: كَيْفَهُ يَا رَسُولَ اللهِ»[1]، فتقدير الكلام هنا: كيف هو؟ فقد باشرت كيف الضمير المنفصل وعليه تعرب خبرا مقدما، والضمير المتصل مبتدأ مؤخر.

– وإذا وليها حرف الجر (الباء) فيعرب الباء حرف جر زائد وتعرب (كيف) بعده اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم، وقد ورد في قوله –ﷺ– من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– « «يَا عَبْدُ اللهِ بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ بِهَذَا؟»[2]، فالكاف هنا تعوض الضمير المنفصل (أنت) وهو مبتدأ مؤخر، وتعرب (كيف) خبرا مقدما، وعليه فالتركيب= كيف+الباء الزائدة+ كاف المخاطب.

وقد تكون الباء لصيقة بالاسم وتكون زائدة في التركيب مثل قوله –ﷺ–: «قَالَ حَسَّانُ يا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فِي أَبِي سُفْيَانَ؟ قال: كَيْفَ بِقَرَابَتِي مِنْهُ؟ قالَ: والذي أَكْرَمَكَ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الخَمِيرِ»[3]، فالباء هنا حرف جر زائد وعليه يعرب ما بعدها مبتدأ: فـــ(قرابتي) مبتدأ مؤخر مجرور لفظا مرفوع محلا وهو مضاف وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، و(منه) جار ومجرور متعلق به، و(كيف) اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم .

2/ في محل نصب حال: ويعرب اسم الاستفهام (كيف) حالا إذا وليها فعل تام، وقد ورد الكثير منها في الحديث الشريف، وهذه نماذج منها:

[1] – صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم 194، ص60.

[2] – سبق تخريجه، ص 6.

[3] – صحيح مسلم، المصدر نفسه، من حديث عائشة –رضي الله عنها–، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، رقم 2489، ص590.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

– الفعل الماضي: عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أن النبي –ﷺ– قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ والْكَبِيرَ والضَّعِيفَ والْمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»[1]، فقد جاء الفعل (شاء) بعد (كيف) فتعرب في محل نصب حال، وتقدير الكلام فليصل على أي حال شاء يطيل أو يخفف صلاته، لأنه تحدث قبلها عن حال الصغير والكبير والضعيف، فكيف تعرب حالا مبنية للفعل شاء والفاعل ضمير مستتر وجوبا يعود على المصلي .

– الفعل المضارع: كما تأتي بعد الفعل المضارع وتكون حالا كما في قوله –ﷺ – : «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وكَسَرُوا رُبَاعِيَّتَهُ وهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ»[2]، فكيف تعرب حلا للفعل الذي يليها وما يلي الفعل متعلق به، ومعنى قوله: كيف يفلح؛ أي لا يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم.

وقد تأتي (كيف) في الحديث الشريف ولا يراد بها الاستفهام وإنما تحمل معنى الإخبار، وهذا ما نلمسه في حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– في قوله–ﷺ–: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ أَتَبِعْنِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ»[3]، فجاء بعد اسم الاستفهام الفعل (ترى) لكنه لم يوضع للاستفهام، وإنما معناه أخبرني عن بعيرك، لأن الاستفهام جاء صراحة عن بيع البعير وليس عن البعير نفسه، فالاستفهام مستوف لأركانه في (أتبعنيه) أي أتبيعني بعيرك، وجاء الرد بالإيجاب (نعم).

[1]– صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم 467، ص110.

[2]– المصدر نفسه، من حديث أنس–رضي الله عنه–، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم 1791، ص436.

[3]– سبق تخريجه، ص 5.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

وبعد عرض هذه النماذج من حديثه –ﷺ– يتبين أن اسم الاستفهام (كيف) يؤدي معاني نحوية كثيرة لأن أسلوب الاستفهام من الأساليب العملية التي تحقق التواصلية وتضفي معاني كثيرة على النص، أضف إلى ذلك سهولة تصرف أسماء الاستفهام وتطفلها على أجزاء التركيب، فقد وجدناها تارة مع الاسم وأخرى مع الفعل[1]، وفي كل موضع لها إعراب خاص، يؤدي دلالة يقتضيها النص.

رابعا: بلاغة الاستفهام بـــ"كيف" في الحديث الشريف:

يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب التي تتسم بالليونة والوظيفية، لأنه يقتضي بنية حوارية وما يشوبها من ملابسات، فيتفاعل الفعل الكلامي مع السياق المقامي لكل من المتكلم والمخاطب، مما يولد حالة نفسية تنعكس على الخطاب نفسه، وهذا يعد قيمة مضافة للأسلوب، كما يكسب النص رونقا وجمالا للمعاني التي يساق لها، فهو من الأساليب الطلبية التي يدرسها علم المعاني، وقد يخرج عن الأصل الذي وضع له أساسا ألا وهو الطلب، فيؤدي معاني وأغراضا بلاغية متنوعة، وهذا راجع إلى السياق الذي وردت فيه، لذا سنختار نماذج لنكتشف هذه المعاني لهذا الأسلوب الطلبي.

أ/معاني "كيف" السياقية[2]:

[1]– وقد تكرر ورودها مع الاسم والفعل في صحيح البخاري في 220 موضعا. ينظر: أحمد إبراهيم الجدية، أسماء الاستفهام في صحيح البخاري –دراسة نحوية–، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، فلسطين، المجلد 27، العدد 1، 2012م، ص272.

[2]– السياق: وهو مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر معين داخل سلسلة الخطاب، ويستفاد من هذا التعريف أن السياق نوعان: سياق لغوي، وسياق مقامي، وهما من يتحكم في توجيه دلالة النصوص. ينظر: محمد الخولي، علم اللغة النظري، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م، ص57.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

إن السياق من أهم الملابسات المؤثرة على النص، فهناك سياقات حالية وسياقات لغوية، ولعل أسلوب الاستفهام واحد من هذه التي تخضع للسياق، فقد يخرج عن أصل الوضع والغرض الذي قيل من أجله إلى أغراض أخرى تخرج به عن معنى الطلب، يقول التفتزاني (ت792هـ): «ثم إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله»[1]، فالحاصل أن أدوات الاستفهام تستعمل في الاستفهام الحقيقي، كما تستعمل في الاستفهام المجازي، وهي أكثر استعمالا لغير الاستفهام، وذلك كما سبق وأن قدَّمنا عائد إلى السياق الذي ترد فيه بمعونة القرائن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، فالاستفهام في هذه الآية للإنكار كأنه قال: كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة أولها وآخرها، ويتخلل الإنكار التعجب، أي ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه من الإحياء والإماتة والبعث[3]، وينصرف إلى معاني أخرى كالتوبيخ على كفرهم في حال الجهالة والغفلة.

ثم إن الاستفهام طلب معرفة شيء مجهول يحتاج إلى جواب، لكن قد يأتي الاستفهام بـــ(كيف) ولا يحتاج إلى جواب في نحو: قوله -ﷺ- «فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ

[1]– سعد الدين التفتزاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1434هـ–2013م، ص419.

[2]– سورة البقرة: الآية 28.

[3]– جار الله الزمخشري، الكشاف، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوَّض، ط1، مكتبة العبيكان، 1418هـ–1998، ج1، ص248–249.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»[1]، فقد جاء الأسلوب محتملا للاستفهام لتصدر الهمزة ومن ثمة تخللت (كيف) التركيب، إلا أن هذا السؤال كان عن حال شيء معلوم هو حال النبات إذا نبت بجانب السيل، وهو معلوم عند الصحابة، فالغرض منه لفت الانتباه والتصوير وليس الاستفهام، فالإنسان عادة ما تلتفت نفسه إلى الأشياء المحسوسة عكس المعنوية.

وعليه فالاستفهام إذا كان الغرض منه استعلام ما في نفس المخاطب فهو حقيقي، أما إذا كان منه تأدية معاني أخرى غير الاستفهام فهو استفهام مجازي.

ب/ الأغراض البلاغية للاستفهام بـــ (كيف):

1– التقرير:

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف يقول الدسوقي (1230هـــ): «إلجاء المخاطب للاعتراف بالأمر يكون لغرض من الأغراض كأن يكون السامع منكرا لوقوع ذلك الفعل من المخاطب، فتريد أن يسمعه منه من غير قصد لحقيقة الاستفهام المستلزم للجهل، أو أن يكون في السماع منه تلذذ بسبب المراجعة في الخطاب»[2]، وهذا ما جاء في قوله –ﷺ– من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– «أن اليهود جاؤوا إلى النبي –ﷺ– برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ؟ قَالُوا:

[1]– صحيح مسلم، مصدر سابق، من حديث أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم 184، ص55.

[2]– محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دط، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2011م، ج2، ص 469.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

نُحَمِّمُهُما ونَضْرِبُهُمَا ...»[1]، فقد حمل النبي-ﷺ- اليهود على الإقرار بالحكم الشرعي المتعلق بمن زنى في شريعتهم «هذا السؤال ليس لتقليدهم، ولا لمعونة الحكم منهم، وإنما لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم، ولعله -ﷺ-قد أوحي إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء، أو أنه أخبره بذلك من أسلم منهم، ولهذا لم يخف ذلك عليه حين كتموه»[2]، لذا نجد النبي-ﷺ- قد استعمل (كيف) لتقريرهم عن حال الزاني عقوبة الزاني في شريعتهم .

2– الإنكار:

وهو تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه ويعي الجواب، وقد يحمل معنى التوبيخ في طياته، ومن ذلك حديث أبي الدرداء، عن النبي -ﷺ- «أَنَّهُ أُتِيَ بِامْرَأَةٍ مُجَحٍ عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا[3]؟ فَقَالُوا: نَعَمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ-ﷺ-: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنًا يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ، كَيْفَ يُورِثُهُ وهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟»[4]، فيُحمل الاستفهام على شدة الإنكار بل تعداه إلى التوبيخ والزجر والوعيد، وهذا

[1]– صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب المناقب، باب قوله تعالى: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، رقم1550، ص484.

[2]– محمود بن أحمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1434هـ–2016م، ج 6، ص 183.

[3]– أن يلم بها أي يطأها وكانت حاملا مسبية لا يحل جماعها حتى تضع، ينظر: محي الدين بن شرف النووي شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج10، ص 15.

[4]– صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب النكاح، باب تحريم وطء الحامل المسبية، رقم 1441، ص 334. مَجَح: ومجح الدلوُ في البئر: خضخضها، وتأتي بمعنى التكبر والبذخ. ينظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مطبعة حكومة الكويت، 1325هـ–1994م، مادة: م ج ح، ج7، ص109. فسطاط: بيت من الشعر وفيه لغات: فُسطَاطُ

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

لا يكون إلا لأمر شنيع، وهو ما أفاده التغليط إلى حد اللعن يقول الآبي (828هـ): «غَلّظ –ﷺ– في ذلك لما استقر من شريعته من النَّهي عن وطء الحامل»[1]، وهذا منصب على الاستفهام من التعرض له باللعن والإقدام عليه، حيث لا يكون مثل هذا الصنيع إلا لأمر عظيم يستحقه، وهو وطء الحامل، فترتب عن ذلك حكم شرعي، فيكون مبالغة في الإنكار التي تخرج إلى التهديد والوعيد.

3– التعجب:

وهو استعظام فعل فاعل ظاهر المزية، وكل ذلك يفهم من قرينة الكلام، لا بأصل الوضع، والتعجب ترجمة انفعال النفس حيال أمر خَفِيَ سَبَبُهُ، كما هو في الاستفهام، نحو قوله–ﷺ– لأبي ذر–رضي الله عنه– : «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ أُمَرَاءٌ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟»[2]، فلا ريب أن النبي–ﷺ– يعلم أن مصير أمته وما ستؤول إليه من بعده ومن بعد الخلفاء الراشدين، لكن لا يعلم كيف يفكر فيه الصحابة لو أدركوا مثل هذا الوضع من الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، ثم إن النبي–ﷺ– يتعجب من مصير الأمة بعده، وما يكون شأنها من تضييع الدين، لاسيما أمر الصلاة ومكانتها في الدين، وهو سؤال عن شيء خفي بالنسبة للصحابة لم يقع بعد.

4– العتاب:

وفُسْتَاطُ وفُسَّاطُ. وينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دط، مكتبة لبنان، بيروت، 1989م، مادة ف س ط، ص 443.

[1]– محمد بن خليفة الآبّي، شرح صحيح مسلم، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م، ج5، ص118.

[2]– صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار، رقم 648، ص145.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

ويكون حيال أمر سالب مخالف للواقع، يتوجب على المخاطب عدم القيام به، وربما استوجب عقابا، ويكون أعلى درجة من التوبيخ، فالاستفهام يدفع المخاطب إلى العدول عن فعل وقع فيه، ومما ورد في الحديث قصة زواج عقبة بن الحارث: «أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لأَبِي إِهَابِ ابْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: بِمَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي؟ فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ –ﷺ– بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟ فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ»[1]، يقول السيوطي: «يعني كيف تُبَاشِرُهَا وتُفضي إليها وقد قيل إنك أخوها، إنّ ذلك بعيد من ذوي المروءة والورع»[2]، فدل ذلك على العتاب لأنه قد خالف أمرا معروفا وهو الزواج من أخت الرضاع الذي يعد محرما، فكان العتاب مُنْصَبًا على أنه قد علم الحقيقة وهذا ما تؤكده عبارة (وقد قيل) أي ما قيل من تأكد الرضاع، فكان الأولى أن يفارقها لأنه يعلم حقيقة الحكم، فكان الإنكار قائما على العتاب من جهة واستبعاد هذا الأمر من جهة أخرى لأنه مخالف للمروءة مما استوجب تفريقها عليه.

5– الإعلام والبشرى:

ولا يكون إلا بأمر مفرح للمخاطب، لأن النفس تأنس لسماع ما يفرحها، ولا غرابة لأن ورود الاستفهام على لسانه –ﷺ– وهو يريد بذلك البشرى لأمته، ومن ذلك ما روي عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله –ﷺ–: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفِرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ ولا شَرَابٌ وعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وشَرَابٌ فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ ثُمَّ مَرَّتْ بِجَذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا فَوَجَدَهَا

[1]– سبق تخريجه، ص 6 .

[2]– جلال الدين السيوطي، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي الشريف، تحقيق سلمان القضاة، دط، دار الجيل، بيروت، 1414هـ–1994م، ج 2، ص 127–128.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ؟ قُلْنَا: شَدِيداً يَا رَسُولَ اللهِ، فقالَ رسُولُ اللهِ: أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»[1]، فنلحظ في هذه المحاورة قيمة فنية، حيث عمد فيها النبي –ﷺ– إلى طريقة يخبر بها الصحابة بخبر يحمل البشارة وهذا عن طريق الاستفهام الذي جاء بشكل سردي من وصف وتصوير حال صاحب الراحلة التي شردت منه وذلك كل ما يملكه في وسط قفر، فهذه حالة اليأس وانقطاع الأمل، ثم صور حال عثوره عليها من الفرح والسرور، فكذلك حال التائب مع الله فيفرح بإقبال عبده عليه، ففيه من الإعلام والبشارة ما يحمل العبد يقدم على ربه ويتوب إليه، واستعمال الاستفهام في هذا الموضع كان في قمة بلاغته.

6– الحث والتحضيض[2]:

وهو ترغيب المخاطب وتحريضه على أمر فيه الخير وذلك عن طريق الاستفهام، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنّ رسول الله –ﷺ– قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ ومَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهمْ وَهُوَ أَعلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[3]، فربما رأى النبي –ﷺ– تهاونا في الحفاظ على الصلاة فكان منه أن يسوق كلاما يحرك المشاعر ويبعث الحماسة في التسابق إلى الصلاة والمحافظة عليها وهذا

[1]– صحيح مسلم، المصدر نفسه، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، رقم 2746، ص641.

[2]– الحضُّ: البعث على الشيء، حضضته على كذا إذا حضضته عليه وحرّضْتهُ، والحثُّ: يكون في السَّيْرِ والسَّوْقِ. ينظر: أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دط، دار الفكر، 1399هـ–1979م، مادة: ح ض، ج2، ص13.

[3]– سبق تخريجه، ص 5.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر: 05–08–2020

عن طريق سؤال الله –عز وجل– عن حال عباده، فيجيبون بأنهم تركوهم على الحال التي وجدوهم عليها، وفيه تنبيه إلى دوام مراقبة الله جل وعلا لخلقه وعباده، فوجب أن يكون في الحال التي ترضيه.

فهذه عينة عن بعض الأغراض التي ينصرف إليها الاستفهام بـــ (كيف)، لنجد أنها لا تكون للتقرير أو الإنكار فحسب، بل تأتي بحسب السياقات والحالات التي يلقى فيها الخطاب معتمدة في ذلك على الحوار الذي كان يجري في كل مرة بين الصحابة والنبي –ﷺ–، ويكون ذلك في أسلوب بليغ كما وصفه الجاحظ (ت255هـــ): « هو الذي قلَّ عددُ حروفه وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصَّنْعةِ ونُزه عن التكلف...فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام حُفَّ بالعصمة وشُيِّد بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق»[1]، وبما أن الاستفهام طلب الحصول على أمر مبهم في الذهن يهم السائل ويعنيه، كان له أغراض ينصرف إليها، ومهما اجتهدنا في تقليب هذه النصوص نجد تراكما دلاليا وتوليدا للكثير من المعاني وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعاني أخرى تستفاد من سياق الكلام كالنفي والإنكار والتقرير والتوبيخ والتعظيم والتحقير والاستبطاء والتعجب والتسوية والتمني والتشويق[2]، لذا فإن أسلوب الاستفهام ذا منحى دقيق إذا تعلق الأمر بإحدى ألفاظه في نص له خصوصيته ألا وهو الحديث الشريف.

النّتائج والتوصيّات:

[1]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط7، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1418هـــ–1998م، ج2، ص17.

[2]– محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـــ–1987م، ص 315–315.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

وممّا سبق عرضه في هذا البحث من تتبّع معاني واستعمالات (كيف) في الحديث الشريف من الناحية النحوية والبلاغية من خلال عملية التحليل، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- كيف من أسماء الاستفهام التي يحق لها الصدارة في الكلام، للغرض الأصيل الذي جاءت من أجله وهو طلب الاستفهام على الحال.
- أن (كيف) لها استعمالات نحوية متعددة فتتردد بين الاسمية والظرفية، كما تكون اسم شرط ولا يكون ذلك إلا مع فعلين متفقين في الحركة واللفظ والوزن والمعنى.
- تتردد (كيف) في الحديث الشريف وتتخذ مواقع إعرابية مختلفة بحسب موقعها في الجملة فتعرب حالا مقدمة إذا وليها فعل، كما تعرب خبرا مقدما إذا وليها اسم أو ضمير رفع منفصل وتتقدم الجار والمجرور، وحرف التحقيق (قد) وهاء السكت.
- أن أسلوب الاستفهام بـــ (كيف) يخرج عن أصل وضعه من الطلب إلى أغراض بلاغية أخرى يقتضيها السياق.
- أهمية السياق في التحكم وتحديد المعاني البلاغية والأغراض التي تساق لها (كيف) في الحديث الشريف.
- يتفرد الحديث النبوي الشريف بظواهر وخصائص نحوية وبلاغية مما يجعله مصدرا لغويا خصبا يجب استثماره والعناية به.

قائمة المراجع والمصادر:

– أحمد إبراهيم الجدية، أسماء الاستفهام في صحيح البخاري –دراسة نحوية–، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، فلسطين، المجلد 27، العدد 1، 2012م

– أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دط، دار الفكر، 1399هـــ–1979م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

– أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، دط، المكتبة السلفية، دت.

– إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1425هـ، 1990م.

– جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، سلسلة التراث، الكويت، 1421هـ–2000م.

– جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق مصطفى الشيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ، 2004م.

– الحسن بن القاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ–1992م.

– سعد الدين التفتزاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1434هـ، 2013م.

– عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي الشريف، تحقيق سلمان القضاة، دط، دار الجيل، بيروت، 1414هـ–1994م.

– عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري، أسرار العربية، تحقيق بهجت البيطار، دط، المجمع العلمي العربي، دمشق، دت.

– عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دط، البشرى للطباعة والنشر، باكستان، 1437هـ2016م.

– عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط7، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1418هـ–1998م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

– عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ، 1998م.

– محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1380هـ–1060م.

– محمد الخولي، علم اللغة النظري، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.

– محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دط، مكتبة لبنان، بيروت، 1989م.

– محمد بن خليفة الأبّي، شرح صحيح مسلم، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.

– محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ–1987م.

– محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ–1993م.

– محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مطبعة حكومة الكويت، 1325هـ–1994م.

– محمود بن أحمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1434هـ–2016م.

– محمود بن عمر جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دط، مكتبة العبيكان، 1408هـ، 1998م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد: 01 السنة: 2020 الصفحة: 520–545 تاريخ النشر:05–08–2020

– محي الدين بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1347هـ–1929م.

– محي الدين عبد الحميد وعبد اللطيف السبكي، المختار من الصحاح، دط، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دت.

– مسلم بن الحجاج القُشَيْرِي النيسابوري، صحيح مسلم، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010م.

– موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1426هـ–2002م.